أهمية الزيارة الأربعينية في محاربة الارهاب والحفاظ على الشباب من منظور النهضة الحسينية

رولا خالد الداود /اشتية

مديرة الجامعة العربية المفتوحة (شمال أمريكا) فرع فلسطين

استاذة محاضرة في جامعة القدس المفتوحة / فلسطين

استاذة محاضرة في كلية الروضة للعلوم المهنية/ فلسطين

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم، فاتحة كل خير وتمام كل نعمة.

نستذكر دور الشباب في واقعة الطف.. ان يوجد في كربلاء شباب من أعمار الورد وهبوا دماءهم من أجل الامام المعصوم. إن شباب كربلاء ضحوا بمهجهم بعمر يصعب على البعض أو على أكثر الشباب أن يضحوا بحياتهم ويتركوا لذات الدنيا ومغرياتها وبيوتهم وأهليهم وهذا ما حصل في واقعة الطف حيث أن شباب كربلاء تركوا ملذات الدنيا وشهواتها وضحوا بحياتهم وهم في سن حرج، عكس الكبار والشيوخ الذين إذا قلنا لا تهمهم ملذات الدنيا لأنهم تنعموا بها من زوجات وبنين وعاشوا تجارب الدنيا وخاضوا غمارها، فعندما يقوم الشاب الى المعركة ويجاهد ويستشهد يجعل الكبير يخجل من نفسه ويسارع هو الاخر للاستشهاد.

فعلى شبابنا ان يكونوا قدوة للصغار والكبار في نفس الوقت، فعندما ينظر الصغير الى الشاب الذي أكبر منه سناً يقتدي به فإذا كان حسن الخلق سيصبح مثله فإن كان سيء الخلق – لا سمح الله – سيصبح مثله وهذا سيسبب ضياع المجتمع لأن الشباب هم الركيزة الاساسية لِقوام المجتمع وصلاحه. فعلى الشباب أن يكونوا قدوةً بالأخلاق الحسنة لا الاخلاق السيئة، فإذا أصبح شبابنا صالحاً سنكون أفضل الشعوب ويجب ان نكون مثل شباب يوم عاشوراء لا تهمنا ملذات الدنيا، فعندما يظهر مولانا الحجة بن الحسن (عليه وعلى آله السلام) نكون مستعدين لبذل مهجنا من أجل مولانا أذا ما أرادها. فأسأل الله أن يجعلنا من الذين ينصرون مولانا عندما تحين الساعة.

الشباب هم عماد كل أمة وقلبها النابض وطاقتها الحية، بهم تبنى الأوطان وتستمر الحياة، وبصلاحهم يصلح المجتمع ويولد كل مشروع فكري ونهضوي جديد، والشباب من العمر كالربيع من الزمان، ولهذا حث الإسلام على اغتنام فرصة الشباب في الإكثار من العمل الصالح والجاد الهادف لصلاح الدنيا والفوز بالآخرة ودور الشباب المسلم الذي يسير وفق تعاليم الإسلام وعلى النهج المحمدي، دور عظيم في

إصلاح النفوس وتوجيه المجتمع والمحافظة على سلامته وأمنه وازدهاره وتقدمه وبخاصة ممن آمنوا بالمشروع الإصلاحي المنبثق من النهضة الحسينية وتأثروا به، ولا ينكر هذا الدور إلا أعداء الإسلام أو مَنْ كان في قلبه مرض، الذين يدركون مكانة الشباب المسلم الحقيقي وسعيه في الإخلاص لدينه ومعتقده ومحاربته لكل توجه يحاول الانحراف بمسيرة الدين القويم ورسالة السماء.

وللنهضة الحسينية أثر واضح وكبير على سلوك وتصرف أغلب الشباب المسلم وبخاصة الذين ينظرون إليها كمنهج فكري وعملي خطه سيد الشهداء عليه السلام الذين قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أخيه (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، فمن دروس النهضة الحسينية أخذت جميع شرائح المجتمع وسيلتها للسير في طريق بناء الأمة والمجتمع الصالح والابتعاد عن طريق الانحراف والفساد.

لقد ضرب لنا الشباب المؤمن الذين كانوا في معسكر الامام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة في الصبر والعزيمة والتوكل على الله في تحمل المسؤولية مهما بلغ حجمها وعظمها، وكانوا مصداقاً لقوله تعالى ﴿.....إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ فعليٌّ الأكبر لم يكن وقوفه إلى جانب النهضة الحسينية بسبب ارتباطه بأبيه عليه السلام فقط ولكن السبب الرئيس هو إيمانه بصدق القضية التي خرج من أجلها الامام الحسين عليه السلام وشعوره بالمسؤولية الملقاة على عاتقه كشاب مسلم مؤمن وهو يرى الفساد والانحراف ينخر جسد الأمة ويمزق أوصالها، وهكذا كان القاسم بن الحسن وبقية شباب بني هاشم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل، وصل إلى الشاب التركي والغلام الزنجي، كونهم ينتمون إلى هذه الأمة ويؤدون واجبهم على أتم وجه.

اليوم ونحن نعيش حياة التطور والتكنولوجيا التي دخلت إلى أغلب بيوت المسلمين وحيث حملات الفساد الأخلاقي المنظم التي تقودها بعض الدوائر المعروفة ومن يدور بفلكها علينا أن ندرك نهضة الحسين عليه السلام وثورته من أجل الإصلاح وهو القائل (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله)، لمعرفتنا بأن الإصلاح ومحاربة الفساد يأخذ العديد من الأوجه ولا يتعلق بزمان أو مكان معين.

إن الحسين عليه السلام من الشخصيات القليلة المتميزة في التاريخ البشري، لا يوجد أحد من أعلام النخبة العلمية العالمية في الفلسفة والتاريخ والأدب والإعلام إلا وتجد منه كلمات الاعجاب بشخصية الحسين عليه السلام، وعند الاطلاع على نصوص أقوال تلك النخب في الحسين عليه السلام تتيقن أن الحسين تراث إنساني زاخر بالقيم الإنسانية الراقية، وإن الحسين صياغة ربانية انتدبت لمهام وغايات سامية. ننتخب من عشرات الأقوال للنخبة العالمية قول الكاتب الإنكليزي/ توماس لايل بعد أن شهد مجالس الحسين ومواكب العزاء..(فشعرت في تلك اللحظة وخلال مواكب العزاء ومازلت أشعر بأنني توجهت في تلك اللحظة إلى جميع ما هو حسن وممتلئ بالحيوية في الإسلام، وأيقنت بأن الورع الكامن في أولئك

الناس والحماسة المتدفقة منهم، بوسعهما أن يهزا العالم هزاً فيما لو وجها توجيهاً صالحاً وانتهجا السبل القويمة ولا غرو فلهؤلاء الناس واقعية فطرية في شؤون الدين.

ان هناك رمزية في شخصية الحسين عليه السلام يعتبر إدراكها سمة من سمات توفيق الله، وقد خصَّ الله المؤمنين بجزء من تلك الرمزية، فقد روي عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله الى الحسين بن علي عليه السلام وهو مقبلٌ فأجلسه في حجره وقال: إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً، ثم قال عليه السلام: بأبي قتيل كل عبرة، قيل: وما قتيل كل عبرة يا بن رسول الله؟ قال: لا يذكره مؤمن إلا بكى(1).

فالمؤمنون الصادقون، والذين كانوا مع الصادقين يدركون تماماً تلك الرمزية لأنهم يعيشونها، لكن هناك أمر قد يخفى على الكثير خصوصاً مَنْ جهلوا وجُهّل عليهم ولا زالوا يعيشون التجهيل لا يعلمون أنْ لولا الحسين عليه السلام لكان انتقال الخلافة الى يزيد أمراً طبيعياً، ووراثة النبوة الرحمة والرسالة الإصطفاء وتحولها الى ملك عضوض مسألة طبيعية، ولكان فتح الباب في السقيفة لمن هب ودب ليكون خليفة لرسول الله أمراً طبيعياً، ثم نستمر الى أنْ لا نجد مَنْ ينكر على داعش بدعها وفتنتها.. ولو أنَّ شيئاً من ذلك موجود الآن في الامة فعلاً، لأنه – كما قلنا - ان هناك من لا يعرف للحسين عليه السلام لأنه يعيش التجهيل في دينه فلا ينكر منكراً.

فلولا الحسين عليه السلام لكان لا دين صحيح إلا داعش والتكفيريين، ولا ثلة مؤمنة إلا الوهابيين والتيميين.

ولولا الحسين لما كان هنالك ضمان من الانحراف، فالحسين عليه السلام أسس لواقع رسالي يتجدد فيه العهد للحسين كل عام في ذكرى نهضته في شعار معاداة الظالمين وبغض الظلم ونشر الفضائل والقيم الانسانية الراقية.. ووصف ذلك واضح في زيارة الأربعين متجددة في كل عام.

ولولا الحسين عليه السلام لما تمايز الخبيث من الطيب، فبالحسين ومع الحسين صار الفرز وبرزت الاصطفافات مع الظالمين أو ضدهم، وقد رأينا ذلك واضحاً إبان حكم البعث المقبور.

ولولا الحسين عليه السلام ما برزت ساحات الحب لآل محمد صلوات الله عليهم باعتبارهم سفن النجاة وما نشطت تظاهرات البغض للظالمين.

ولولا الحسين عليه السلام لما وجد منغص لنوم الطغاة. فقبر الحسين عليه السلام هو القبر الوحيد في الكون الذي يرعب الظالمين ويقض مضاجعهم على مر التاريخ البشري.

ولولا الحسين عليه السلام لما تناخى المؤمنون ليجتمعوا على حب الله في مواكب وهيئات وتنظيمات ينشدون قصائد الثورة ويندبون المظلوم ويلعنون الظالم ويتجهون للإصلاح ويجمعون عيال الله الفقراء حولهم في انتظار الوعد الالهي والموعود المنصور.. فلولا الحسين عليه السلام لم يبق سوى الإحباط والتيه.

الحسين عليه السلام الامل في الدنيا بالخلاص والآخرة بالشفاعة والجنة.

والحسين عليه السلام بوصلة الصدق والتصحيح والصلاح والإصلاح.

والحسين عليه في تربته الشفاء وتحت قبته يستجاب الدعاء.

والحسين عليه السلام هبة الله الى خلقه رحمة ونعمة وأمل بحياة